

في العراق... لم يعد لدى إيران ما تقدمه



خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

إنه الأداة التي تأمل إيران من خلالها السيطرة نهائياً على العراق، تماماً مثلما أن "حزب الله" أداة إيرانية لوضع اليد على لبنان، وتحويله مجرد مستعمرة تدور في الفلك الإيراني. من دون ابومهدي المهندس، ذي التاريخ الطويل في العمل لمصلحة إيران، فقدت "الجمهورية الإسلامية" شخصاً محورياً. تؤكد ذلك حال التجاذب التي تسود حالياً داخل "الحشد الشعبي" تحديداً، وفي أوساط الميليشيات المذهبية التابعة لإيران والتي تعمل في الداخل العراقي وتتناشأ بقايا مؤسسات الدولة العراقية.

كشفت تصفية ابومهدي المهندس مدى أهميته بالنسبة إلى إيران. لم يوجد، إلى الآن من يحل مكانه. إنه بالفعل خسارة إيرانية لا تعوض يمثلها رجل قاتل في صفوف الإيرانيين الجيش العراقي بين العامين 1980 و1988 ووضعا الانتماء المذهبي فوق انتمائه لوطني اسمه العراق!

بات واضحاً أنه لن تقوم قيامة للمشروع التوسعي الإيراني، لا في العراق ولا في غير العراق. ليست الروح العدوانية التي يظهرها الحوثيون في اليمن حالياً سوى دليل ضعف أكثر مما هي دليل قوة. لا مستقبل للمشروع الحوثي حتى لو استطاع هؤلاء بسط نفوذهم في اليمن كله. يستطيعون الاستفادة من ضعف "الشريعة" اليمنية، لكن السؤال الذي سيرطح نفسه، عاجلاً أم آجلاً، ما الذي يمكنه "انصار الله" تقديمه إلى اليمنيين غير الضرائب العشوائية والخوات... فضلاً عن البؤس والجهل والشعارات الفارغة. ما يمكن اعتباره أهم من تصفية قاسم سليمان هو هبوط أسعار النفط في وقت أدت العقوبات الأميركية على إيران لمفعولها. لم يعد لدى إيران ما تقدمه من مال لميليشياتها لا في العراق ولا في سوريا ولا في لبنان ولا في اليمن ولا في غزة. ثمة عالم جديد بدأت تظهر ملامحه. ترسم هذه الملامح الأزمات الاقتصادية العالمية التي تسبب بها وباء كورونا في ظل هبوط قياسي لأسعار النفط. سيجعل هذا الهبوط

دولاً عدة تراجع حساباتها. بين هذه الدول إيران، المحرومة أصلاً من تصدير النفط... والعراق نفسه. لم يعد لدى إيران ما تقدمه للتابعين لها في العراق، ولم يعد لدى العراق الذي جف ضرعه المالي ما يقدمه إلى إيران.

منعت إيران الزرقي من الوصول إلى موقع رئيس الوزراء أم لم تستطع ذلك حل مصطلح الكاظمي مكان

الزرقي أم لم يحل. ما بدأ باغتيال قاسم سليمان وابومهدي المهندس، قبل نحو أربعة أشهر، أشبه بكرة تلع تندرج. لم يعد لكل ما تقوم به إيران في العراق من طائل. تغيرت قوانين اللعبة من أساسها. ما تغير على وجه الخصوص أن إدارة دونالد ترامب لم تعد مستعدة لاسترضاء إيران في العراق أو في غير العراق. ليس مستبعداً أن تتخذ خطوات ذات طابع هجومي في العراق نفسه تمهيداً لاغتيال سليمان والمهندس.

عندما أقدمت هذه الإدارة على خطوة التخلص من قاسم سليمان وابومهدي المهندس، لم تتصور أن ما قامت به ستكون له كل هذه النتائج، بما في ذلك اكتشاف العجز الإيراني عن الردّ والفراغ الذي حصل في العراق. سيرتك هذا الفراغ أثاراً على الداخل الإيراني نفسه في وقت التفت عوامل عدة عند نقطة واحدة. هذه النقطة هي الإفلاس الإيراني على كل صعيد. لن ينقذ إيران التي تمتلك حضارة عظيمة متابعاً الهروب إلى خارج حدودها.

ما ينقذها هو البدء بكف شرها عن الشعوب العربية وغير العربية التي تعيش في المنطقة. في مقدمة هذه الشعوب الشعب العراقي الذي سيتوجب عليه مواجهة استحقاقات الفصل في إقامة نظام قابل للحياة في ضوء انهيار النظام

في العراق. يظل "الحشد الشعبي" هدفًا إيرانيًا جحد ذاته.

ليس أصعب من إقناع الإيرانيين، أركان النظام، أن تصفية قاسم سليمان قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" غيرت معطيات كثيرة في داخل "الجمهورية الإسلامية"، وفي المنطقة كلها. كان قاسم سليمان القريب من "المرشد" علي خامنئي لاعباً أساسياً في غير مكان، خصوصاً في العراق وسوريا ولبنان... واليمن. كان له أيضاً دور أساسي في الأراضي الفلسطينية، لاسيما في قطاع غزة الذي استقرت فيه إيران عبر "حماس" و"الجهاد الإسلامي". فعلت ذلك من أجل التأكد من أن القطاع، الذي انسحبت منه إسرائيل صيف العام 2005، سيبقى سجنًا في الهواء الطلق لمليوني فلسطيني...

يظل العراق المكان الأهم الذي ترك فيه قاسم سليمان فراغاً يبدو واضحاً أن من الصعب أن يجد من يملأه. ما يدل على ذلك الزيارة الأخيرة التي قام بها لبيد إسماعيل قاني القائد الجديد لـ"فيلق القدس". لم يستطع قاني تادية أي دور من الأدوار التي كان يتولاها قاسم سليمان. لم يستطع ممارسة دور المفوض السامي الإيراني القادر على فرض رئيس الوزراء الذي تريده إيران. لم يستطع حتى وضع فيتو على شخصية معينة كما حصل في العام 2018 عندما منعت إيران حيدر العبادي من العودة إلى موقع رئيس الوزراء، وارتضت بان يحل مكانه عادل عبدالمهدي.

لم يعد لدى إيران ما تقدمه للتابعين لها في العراق، ولم يعد لدى العراق ما يقدمه إلى إيران

هذه المرة، ما يزال اسم عدنان الزرقي الذي تعرّض عليه طهران مطروحاً، على الرغم من أن هناك ماخذ كثيرة عليه من شخصيات عرفته عن كثب، ولم تظهر أي إيجاب بسلوته الشخصي، خصوصاً كمحافظ للنجف. لم يتمكن قاني، وقبلة علي شحماني الأمين العام للجلس الأعلى للامن القومي، من استعادة الدور الإيراني في العراق من جهة، ولعب دور المصلح بين العراقيين من جهة أخرى، على غرار ما كان يفعل قاسم سليمان. إلى إشعار آخر، صار الخيار بين الزرقي ومصطفى الكاظمي مدير جهاز المخابرات الذي لا يمكن اعتباره محسوباً على إيران، أقله بسبب العلاقات المتنوعة التي أقامها. بعض هذه العلاقات عربي، والبعض الآخر أمريكي وأوروبي.

لا يمكن الربط بين الضعف الإيراني في العراق وغياب قاسم سليمان فقط. هناك أسباب أخرى لا يمكن تجاهلها تفسر هذا الضعف الذي يمكن تسميته أزمة إيران في العراق. تعني هذه الأزمة، بين ما تعنيه، تراجعاً سريعاً للمشروع التوسعي الإيراني في كل المنطقة. بدأ التراجع بمقتل قاسم سليمان في الأسبوع الأول من السنة الماضية. اصطاده الأميركيون من الجوّ

بواسطة طائرة من دون طيار كانت ترصد تحركاته. قتل مع قائد "فيلق القدس" ابومهدي المهندس، نائب قائد "الحشد الشعبي"، الذي كان يمثل جانباً أساسياً من النفوذ الإيراني في العراق. مثلما أن لا بدليل لإيران في المنطقة من قاسم سليمان، يتبين حالياً أن ابومهدي المهندس كان شخصاً لا غنى عنه لإيران في العراق. يظل "الحشد الشعبي" هدفاً إيرانيًا جحد ذاته.



إلا في العراق!

إذ كُنّا نتفق جميعاً على أن بريكتس الذي تقاوت عليه السياسيون البريطانيون على مدار سنوات وقسم البلاد وعطلها لأشهر، لم يعد له أهمية حيال انتشار كورونا، وأن الأضرار المتصاعد بين الرئيس الأميركي دونالد ترامب وطبقات سياسية وإعلامية عديدة تراجع بشكل مفاجئ، فإننا جميعاً لا نملك مثلاً واحداً يأتينا من العراق عن تراجع تقسيم الحصص والتفرغ لمنع انتشار الوباء.

فبينما البلاد برمتها تسقط في هوة الوباء القاتل، كان الحاكم الإيراني الفعلي الجديد إسماعيل قاني يتجول في بغداد من أجل إبقاء وحدة الطاقة فوق أي اعتبار وطني آخر! لا أحد تحدث آنذاك عن كورونا بقدر التحدث عن رئيس الوزراء البديل، لا يحدث مثل ذلك السقوط إلا في العراق المخطوف من قبل الميليشيات.

يصعب على جدهون راتشمان كبير محرري الشؤون الخارجية في صحيفة فاينانشيال تايمز، أن يرى توحيد دولة لكفاح طويل ضد مرض يوصفه عدواً غير بشري وغير مرئي، إلا أن الخطر يتجاوز سياسات الطائفية والحزبية العراقية والمذهبية، ذلك ما لا يفهمه نماذج شيعية مثل محمد الحلبيسي ونوري المالكي وهادي العامري ومقتدى الصدر وعدنان الزرقي وعادل عبدالمهدي...

لذلك تأثروا بانتشار الوباء وانسحبوا مؤقتاً من أجل المستقبل، من دون أن يتخلّوا عن الأمل في استعادة بلادهم المخطوفة من قبل الميليشيات.

بينما البلاد تسقط في هوة الوباء القاتل، كان الحاكم الإيراني الجديد إسماعيل قاني يتجول في بغداد من أجل إبقاء وحدة الطاقة فوق أي اعتبار وطني

هناك رغبة نبيلة تعمّ دول العالم في التوحيد بمواجهة حالة الطوارئ الوطنية، الأحزاب السياسية مسحت صفحة الماضي. يمكن سماع دعوات مماثلة إلى التخلي عن الحزبية السياسية في جميع أنحاء العالم، في الوقت الذي تكافح فيه الحكومات، من سيول إلى واشنطن، من أجل الاستجابة. وهناك بالفعل أمثلة قوية على أعداء سياسيين لدولين يتحدثون معاً. فمن موجة التعاطف مع بوريس جونسون في أزمته الصحية فاقت كل خلاف سياسي على بريكتس ومستقبل البلاد.

الضرر البشري والاقتصادي الناتج عن انتشار الوباء بطريقة عشوائية، لا يوجد في جداول سياسيي المنطقة الخضراء مناهج حل أو خطة تتعلق بالوباء، بقدر استمرار فكرة المواجهة مع الخصوم الافتراضيين - إن بدوا حقيقيين - على توزيع الحصص الحكومية والجدل المرافق لاختيار رئيس الوزراء.

قبل ذلك لا أحد قادر حتى على الزعم بأن النظام الصحي في العراق جدير بتقديم الخدمات اللوجستية للناس، فهو منهيار وينزهر الفؤاد ولم يكن من ضمن اهتمامات كل الحكومات منذ عام 2003. التثبيبات بزمن الحرب الشائعة غير دقيقة هنا. في الحرب يستبدل الأعداء المحليون بأعداء أجنبي، ولدى هؤلاء الأعداء وجوه وأسماء. لكن الواقع في حرب المناصب المستمرة في المنطقة الخضراء، كل شيء يبدو افتراضياً، لا يوجد أمر واقعي كي يبده فايروس كورونا إلا الأعداء العراقي، فالحكومة افتراضية، سلطتها لا تتعدى مبانيتها في المنطقة الخضراء، القرارات كذلك، عندما يتعلق الأمر بالحجر الصحي مثلاً، دعك من الوعود والإنجازات فقد عرف العراقيون الأكاذيب السطحية والعميقة من السياسيين ورجال الدين على حد سواء، كلها قادمة من بؤر الأحزاب الطائفية الحاكمة.

وحدهم العراقيون حقيقة تاريخية منتهكة في هذا البلد المخطوف،



كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

تمعنّ قليلاً، تجد أن الانقسامات السياسية والحزبية المألوفة في أغلب نظم العالم السياسية، عادة ما تكون تحت السطح منذ أسابيع. لقد قتل فايروس كورونا تلك الخلافات السياسية، بل إن أشدها وقعا عندما تتعلق بالهوية تراجعت ولو مؤقتاً، إلا في العراق؛ هناك عناد أبلى موغل في العصبية، كل شيء ثانوي إلا الإسماعيل بسلطة المصلح، وأن تصل خطورته بنظر السياسيين إلى الإبادة كانتشار الوباء، فالإتفاق على توزيع الحصص السياسية يجب أن يكون في مقدمة الاهتمام، كل شيء من أجل المحاصصة "تكرار لجملة قديمة كل شيء من أجل المعركة" قبل وأثناء انتشار كورونا، وإن عمل الفايروس تصدعات في وجه البلاد الواهن أصلاً!

بل أن العلاج الطبي بنظرهم ليس له أهمية عندما توفر الخرافة التاريخية حلاً دائماً، وعليك أن تربطها بأي مشكلة، زيارة المراقذ وفق ثقافة إطلاق القطيع السائدة كانت تحل أسوأ الانقسامات القاتلة، فكيف لا تكون علاجاً مضموناً وحاسماً لكورونا.

بذلك يكون العراق السياسي استثناءً، على العكس من كل دول العالم. مع تصاعد



إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لن يختلف عدنان الزرقي عن مصطفى الكاظمي، ولا عن من كان قبلهما، ولا من سيأتي بعدهما من سياسيين تم ترشيحهم لرئاسة الوزراء العراقيين، سواء منهم الذين حكموا أو الذين لم يغط القضاء والقدر فيجعلهم رؤساء وزراء وسفراء ومدراء وقادة جيوش وميليشيات، جميعهم رفاق "الجهاد" ووطنيون درجة أولى، وكرماء حاتميين، وشجعان ولا عنتره أو طرزان. نعم، جميعهم، واحداً واحداً، معتمدين و"أفندي"، بمبنيين ويساريين، عربا وأكرادا وتركمانا، شيعة وسنة، داعشيين و"حشديين"، عشاق هائمون بحب الشعب العراقي، وحماة لوحدة أرضه ومكوناته، ومستعدون للتضحية بالغالي الذي عندهم وبالنفيس من أجل الحفاظ على أمنه وسيادته واستقلاله، إلى آخر نفس. و"بالروح بالدم نفديك يا عراق". وكل واحد منهم مقيم مزمّن على شاشات الفضائيات، وعلى فيسبوك وتويتر، وفي الإذاعات والجراند والمجلات، وهو يحلف بشره أنه وأبيه وجدوده وعشيرته على أنه ضد المحاصصة، وضد الفساد وضد العنف، وضد التمييز بين عراقي وآخر على أساس الطائفة أو القومية أو الدين، ولا يقلقه ويقض مضاجعه ويخيفه

عين وميم سواء

يدعي، بل "جهاداً" مقدساً تحالفاً مع حاكم قاتل يريد أن يحكم شعباً لا يريد، بالبراميل المتفجرة والصواريخ؛ ومن المتأمر الذي سحب جيشه من نينوى وصلاح الدين والأمناء لكي يسهل لداعش احتلالها، وندح أقصى ما يمكن من رجالها، وسبب أقصى ما يمكن من نساءها، وهدم مساجدها ومدارسها، وإذلال من يتبعين من أهلها؛ بعبارة أخرى، من الذي رسم هذه المسرحية الجهنمية المثقفة لكي يتنادى، بعد ذلك لتحريرها، ويفرغ خزائن الدولة المفلسة، ولكي يفتح أمام أتباعه ومقلديه أبواب ارتزاق جديدة لا تنتهي؟ ومن 2003، وإلى اليوم، يخرج الشعب العراقي من نقف ليدخل نقفاً غيره، ومن مجزرة إلى مجزرة، وقيام الميث من معركة، باسم الدفاع عن حقوقه، ومن أجل تحقيق العدل والمساواة. أما الحل الذي يريده الشعب العراقي فهو اكتشاف الغمة من أساسها، باشخاصها وأحزابها وقبائلها ومراجعتها، وقيام الميث من تابوته الذي لم يصنعه سوى أولئك المنافقين والمختلسين، وما زال ينتظر. والخلاصة أن توزيع الزرقي أو الكاظمي أو أي واحد آخر يخرجهم المزمورون من سلال مهملاتهم ليس هو المطلوب، فكلهم سواء، وجرثومة الغش والسرقة والعمالة مخبأة في عروقهم، مهمما اختلفت ألوان عمامتهم وتوتعت ربطات أعناقهم، وأيا كان اللسان الذي يרטنون به ويصلون ويدجلون.

ومن الذي اغتال رجاله واختطف نساءه؟ ومن الذي أطلق على المتظاهرين المسالمين قطاع الطرق والقتلة واللصوص، حتى صارت الدولة العراقية، في عهدهم غير الميمون، أسوأ دولة، وأفضل دولة، وأقرب دولة في العالم، يُضرب المثل بفسادها، وبقلة أمنها، وخراب حضارتها، و"صخامة" مستقبل أجيالها القادمة؛ ومن الذي اختار له بالمحاصصة، وزراء وسفراء الانتهازيين الأمين والمزورين للشهادات، فعبثوا بحياته وأباحوا دماء أبنائه وأموالهم وأعراضهم؟

من الذي جعل كلمة الميليشيا هي العليا وكلمة الدولة هي السفلى؟ ومن حُرّب علاقات الدولة العراقية بجيرانها وبدول العالم، وجنّير الوطن لدولة جارة لم تضمّر لهذا الوطن إلا كل سوء، ليس الآن فقط بل من مئات السنين؟ ومن الذي هجر الآلاف من المواطنين الأبرياء ونهب منازلهم، وقتل العشرات والمئات من رجالهم ونسائهم وأطفالهم، هؤلاء ثارا للحسين من يزيد، واقتصاصا من الداعشيين والبعثيين الصداميين والوهابيين التكفيريين النواصب، وأولئك دفاعاً عن شرف العروبة وخلافة المسلمين، وخدمة للطائفة والدين، ووفاء لابي بكر وعمر وعثمان والانتقام من الروافض "الكافرين"؟ ومن الذي أرسل المئات من شبابه ليموتوا في سوريا، لا دفاعاً عن المقاومة، ولا حماية لضريح السيدة زينب، كما

إلا حقن دماء أشقائه العراقيين، واعداء إخوانه المتظاهرين وأخواته المتظاهرات بالقصاص من الفاسدين، وبإخراج الدولة الغارقة من مغطسها المهبّين. والأكثر سوءاً ووضاعة من هؤلاء هم الذين لم يتكفوا بالمناجزة بالوطن وسيادته واستقلاله، وبالشعب وكرامته وحقوقه، بل اختاروا الله ورسوله والأئمة ليجعلوا منهم بضاعتهم التي يبادعون بها الناس ويكتسبون بهم وهم كاذبون منافقون ومزورون. فقد جعلوا لله أحزاباً وجيوشاً وميليشيات فقتلوا وسرقوا وخانوا، وتجنسوا باسمه ولأجله وهو منهم بريء.

ولكي تعرف حقيقة هذه الشلّة الحاكمة اليوم يتعين علينا أن نتساءل، من الذي مزق هذا الشعب وأفسد حياته، وعمق بين أبنائه الفرقة والتناحر والافتتال؟ ومن الذي لوّث مائه وأفسد هوائه وسرق غذاءه وخرّب مدنه وقرأه؟

توزيع عدنان الزرقي أو مصطفى الكاظمي أو أي كان يخرجهم من سلال المزمورون من سلال مهملاتهم ليس هو المطلوب